بحـــث بعنـــوان

{الحـــوار ووحـــدة الأمة المسلمـــة}

مقدم إلى

المـؤتمر الدولي بعنوان

(العالم الإسلامي... المشكـلات والحلول)

الذي تعقده رابطة العالم الإسلامي تحت رعاية خادم الحرمين الشريفين

الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود حفظه الله

في الفترة من ٢٢-٢٤/ شعبان /١٤٣٢هـ الموافق ٢٣-٢٥/٧/٢٠١١م بمكة المكرمة

وبإشراف الرئيس العام للمؤتمر معالي الدكتور / عبد الله بن عبد المحسن التركي

الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي حفظه الله

بقلـــم

الشيخ الدكتور / يوسف جمعة سلامة

خطيب المسجد الأقصى المبارك

النائب الأول لرئيس الهيئة الإسلامية العليا بالقدس

وزير الأوقاف والشئون الدينية السابق

المحتويات

أولاً : مقـدمة

ثانياً : أهميـة الموضـوع

ثالثاً : مفهوم الحوار لغة واصطلاحاً

رابعاً : آداب الحوار

خامساً: الحوار في القرآن الكريم

سادساً : الحوار في السنة النبوية

سابعا : الحوار الإسلامي سبيل الوحدة

ثامناً : الخاتمة

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي أنعم علينا بالإسلام ، وشرح صدورنا للإيمان ، والصلاة والسلام علي سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، ومن سار على دربهم إلى يوم الدين وبعد .

إن التعددية والاختلاف بين الناس في نظر الإسلام أمر واقع وملموس ، ولكنها بدلاً من أن تكون مجالاً للخلاف والنزاع ينبغي أن تفتح الطريق أمام وحدة الهدف المشترك والجهود المشتركة من أجل الاتفاق والوحدة والاعتصام بدين الله.

ويشير القرآن الكريم إلى هذا المعنى بوضوح في قوله: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا}** (١).

والتعارف هنا إنما هو حوار بين هذه الشعوب المختلفة ، وبهذا فهو اللغة الحضارية بكل ما تحمل هذه الكلمة من معني ، أما استخدام السلاح أو العنف لغة للتخاطب بين البشر، فإنما هو أداة بربرية تعادي الحضارة والتقدم وترد الإنسان إلى عصور ما قبل التاريخ.

فالحوار ظاهرة إنسانية عالمية وسنة إلهية، نظراً لتفاوت البشر في عقولهم وأفهامهم وأمزجتهم، حيث يقول تبارك وتعالى: **{وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِين * إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ...}**(٢).

---

(١) سورة الحجرات:آية١٣.

(٢) سورة هود: الآيات (١١٨، ١١٩).

ونتيجة لهذا الاختلاف في الرأي جاء الحوار وسيلة للوصول إلى الحق والصواب، بل وسيلة لوحدة الأمة والتفافها حول منهجها وعقيدتها وكتاب ربها، فتوحيد الله تعالي يقتضي أن توحد الأمة كلمتها: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ}(١).

فنحن أمة ربها واحد ودينها واحد وكتابها واحد ونبيها واحد وتاريخها – المشرق– واحد، ولغتها – التي هي أساس الحوار والتفاهم بين الناس – واحدة، فلماذا الاختلاف والفرقة؟!

لقد طالبنا القرآن الكريم بضرورة الإيمان بجميع الرسل والكتب التي جاءت من عند الله لقوله تعالى: **{آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ}**(٢).

نعم لا نفرق بين أحد من رسله، هذه عقيدتنا وعقيدة كل المسلمين في كل أنحاء العالم، لأن شرط صحة الإيمان للمسلم أن يؤمن بجميع أنبياء الله ورسله كما قررت الآية ، ومن ثم لا يكون مؤمناً بمحمد – صلى الله عليه وسلم – من لم يؤمن بموسى وعيسى وغيرهما من رسل الله – عليهم الصلاة والسلام– .

ومن المعلوم أن التاريخ يذكر أن محمداً – صلى الله عليه وسلم – هو الذي أشار على أصحابه في الهجرة الأولى أن يتجهوا إلى الحبشة؛ لأن بها ملكاً يعبد الله ويخشاه – يعني النجاشي– الذي كان على دين المسيح ، وما لذلك من دلالة على ما بين الإسلام وبين رسل الله أجمعين من أواصر القربى والرحم، فهم جميعاً أخوة كما قال الرسول– صلى الله عليه وسلم –: " الأنبياء أخوة لعلات، دينهم واحد، وأمهاتهم شتى "(٣)، وكلنا يعلم الحوار الذي دار بين المشركين والنجاشي والمسلمين المهاجرين إلى الحبشة، وما كانت نتيجته، حيث اقتنع النجاشي بعد سماعه للقرآن الكريم من الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب – رضي الله عنه– ، فأمّنهم وآواهم.

---

(١) سورة الأنبياء آية ٩٢.

(٢) سورة البقرة آية ٢٨٥.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده.

وبهذا تتحقق الصفة الدينية العامة وتتحقق وحدة الأخوة الإنسانية وتتأكد الزمالة الدينية ، قال تعالى: **{قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}**(١).

وقد دعا الإسلام منذ نشأته إلى الحوار والتعايش بين البشر والدخول في السلم ونبذ العنف والتطرف والإرهاب ، وقد كانت دعوته إلى الحوار بين الأديان دعوة صريحة وواضحة في القرآن الكريم حيث يقول: **{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ}**(٢).

كما دعا الإسلام أيضاً إلى ضرورة أن يكون الحوار بالأسلوب الهادئ المتعقل والنظرة الموضوعية للأمور ، وشدد القرآن على ذلك بقوله:**{وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}**(٣).

وللحوار أهمية كبرى في الإسلام ، فهو وسيلة التفاهم بين البشر ، ويحقق الترابط فيما بينهم ، حتى أن الحكمة الإلهية اقتضت أن يكون كل رسول مبعوثاً بلسان قومه، يقول تعالى: **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ}**،(٤). ويقول الرسول – صلى الله عليه وسلم – "بعثت بجوامع الكلم"(٥) وهذا دليل على أهمية الكلمة في الدعوة فهي وعاء الحوار ووسيلة الإقناع والدعوة إلى الحق.

كما يهدف الحوار إلى إظهار حجة وإثبات حق ودفع شبهة، ورد الفاسد من القول والرأي، وإيجاد حل وسط بين الأطراف المختلفة بتقريب وجهات النظر،

---

(١) سورة آل عمران آية ٨٤.
(٢) سورة آل عمران آية ٦٤.
(٣) سورة النحل آية ١٢٥.
(٤) سورة إبراهيم آية ٤.
(٥) أخرجه الشيخان .

فالخلاف واقع بين الناس وهذه سنة الله في خلقه، وهو يؤدي إلى العداوة، ولكن عندما يسلك المتخاصمون سبل الحوار، تضيق هوة الخلاف بينهم، ويزيل ما في صدورهم من حقد وكره، ويحقق الألفة والمودة والوحدة والاتفاق على الحق.

ومن المتطلبات الأساسية لإنجاح الحوار توفر قدر كاف من المرونة لدى أطراف الحوار، وتتوقف مرونة أي شخص أو طرف تجاه الآخر على عاملين أساسيين، هما طبيعته الشخصية، والمرجعية التي يستقى منها رؤيته للآخر، ويحتكم إليها في اختلافاته معه .

إن الحوار المنشود لن يحقق نتائجه إلا إذا تجرد الإنسان من أنانيته، وأيقن أن الكون الفسيح يمكن أن يسع الجميع إذا خلصت النوايا ، وتضافرت الجهود لبناء عالم يختفي منه العنف وتصان فيه الدماء وتتوقف النزاعات والحروب .

إن ديننا الإسلامي قد أباح للمسلم أن يتزوج الكتابية، فالزوجان يعيشان في غرفة واحدة ، الزوج مسلم ، والمرأة كتابية ، فيصبح والد الزوجة جداً للأبناء، وشقيقها خالاً للأبناء ، وهكذا تقوى صلة النسب والمصاهرة فأقول: غرفة واحدة وسعت رجلاً وامرأة ، الرجل مسلم والمرأة كتابية أفلا يسعنا هذا العالم الفسيح .

إن هذا البحث هو توطئة ومحاولة لإظهار الصورة المشرقة للحوار في الإسلام، وأنه السبيل الوحيد لوحدة الأمة والتفافها حول دينها وعقيدتها، كما يقول تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ**﴾[1]، فالحوار بين المسلم وأخيه المسلم ، وبين الإنسان وأخيه الإنسان، أمر ضروري وحتمي، عسى أن تجد هذه الدعوة آذاناً صاغية في عصر نحتاج فيه إلى المحبة والوحدة والحوار بدلاً من الحروب والأحقاد والاختلاف المؤدي إلى الضعف والهوان.

والله الهادي إلى الصراط المستقيم

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٣.

ثانياً: أهميـــة الموضـــوع:

ترجع أهمية الموضوع إلى أنه يتناول موضوعا متعلقا بديننا الإسلامي الحنيف ويستعرض أسلوباً من أساليب القرآن الكريم والسنة النبويـــة الـــشريفة ألا وهـــو أسلوب الحوار الذي يعد من أهم الأسباب في وحدة الأمة.

ويأتي هذا الموضوع امتدادًا للمؤتمر الإسلامي العالمي للحوار، الذي نظمتـــه رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة برعاية كريمة من خادم الحرمين الـــشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز –حفظه الله–، حيث كان المـــؤتمر فرصـــة فريـــدة لاجتماع علماء الأمة ومفكريها للبحث في هذا الموضوع المهم، ولدراسة التجارب السابقة للحوار، والاستفادة منها، فديننا الإسلامي الحنيف يحث على الوحدة ونـــشر ثقافة المحبة والتسامح بين الأفراد والجماعات، ونحن بحاجة ماســـة لمثـــل هـــذه المؤتمرات، خصوصًا في هذه الظروف الدقيقة التـــي تمـــر بهـــا أمتنـــا العربيـــة والإسلامية، والتي تحتاج من علماء الأمة ومفكريها وأبنائها أن يعملوا على نـــشر ثقافة الحوار، والتي ستؤدي بإذن الله إلى الوحدة ونبذ الفرقة والتعصب .

ومن الجدير بالذكر أن أهمية الحوار تتجلى في أنه ما دامت هنـــاك حيـــاة وأحياء ، فلا بد أن يكون هناك حوار فيما بينهم، إذ لا يستطيع إنسان أن يعيش في عزلة عن غيره، وإنما هو في حاجة إلى غيره في بيعه وفي شرائه، في أخذه وفي عطائه ، في بيان فكره وآرائه.

فالحياة من مستلزماتها الأساسية: الحوار والنقاش والجدال والخلاف بـــين الأفراد، وبين الجماعات، وبين الدول ، وبين الشعوب.

ولقد أشار القرآن الكريم في كثير من آياته، إلى أن الحوار بين الناس، من المقاصد الأساسية التي لا غنى لهم عنها في حياتهم، ومـــن هـــذه الآيـــات قولـــه

– عز وجل – : **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}**[1].

ومما يدل دلالة واضحة على أهمية الحوار، أننا عندما نقرأ آيات القرآن الكريم، فإننا نجد على رأس الأساليب الحكيمة والبليغة التي استعملها القرآن الكريم لإحقاق الحق وإبطال الباطل ، أسلوب الحوار والجدال والمناقشة العقلية، التي تجعل كل ذي عقل سليم ، يؤمن إيماناً راسخاً ، بأن لهذا الكون إلهاً واحداً، قادراً، عليماً، حكيماً{ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}[2]، فكم من كافر أسلم بسبب الحوار، وكم من عاصٍ معتدٍ اهتدى واستقام على الجادة بسبب الحوار، فمن ذلك: الحوار الذي كان سبباً في إسلام عمر – رضي الله عنه –، وحوار ابن عباس – رضي الله عنهما – الذي كان سبباً في توبة ألفين من الخوارج عن بدعتهم.

إن الحوار بين الناس في أمور دينهم ودنياهم، من الأمور اللازمة لهم لزوم الطعام والشراب، وما يشبههما من ضرورات الحياة.

لقد تنادينا بأهمية الحوار، حتى نادى بعضنا بضرورة الحوار مع (الآخر)، و(الحوار الإسلامي المسيحي)، والحوارات بين الإسلاميين والقوميين والليبراليين، ولكن : أين حوار دعاة الإسلام مع بعضهم البعض، فالتعددية في نظر الإسلام أمر واقع وملموس ، ولكنها بدلاً من أن تكون مجالاً للخلاف والنزاع ينبغي أن تفتح الطريق أمام وحدة الهدف المشترك، فعلينا أن نتحاور فيما بيننا قبل أن نتحاور مع الآخرين.

سبب اختيار الموضوع:

يرجع سبب اختياري لموضوع **الحوار ووحدة الأمة المسلمة** إلى عدة أمور منها:

١-إظهار أهمية الحوار الإسلامي في الحفاظ على وحدة الأمة المسلمة.

٢- التشديد على أن الحوار من أفضل الطرق لإزالة الخلافات بين أبناء الأمة.

---

(١) سورة الحجرات آية ١٣.

(٢) سورة الأعراف آية ٥٤.

٣- أسلوب الحوار من أهم الأساليب لإبراز الوجه المشرق للدعوة الإسلامية.
٤- الحوار هو الأسلوب المتميز الذي اتبعه القرآن الكريم والرسول – صلى الله عليه وسلم- بشكل منهجي.

ثالثاً : مفهوم الحوار لغة واصطلاحا

أ- مفهوم الحوار في اللغة العربية:

الحوار : مشتق في اللغة من الرجوع والمراجعة والرد [١].

ب- الحوار في الاصطلاح:

لقد عرف الأستاذ الدكتور/ شوقي ضيف بقوله (الجملة الحوارية) هي الجملة المجاب بها في حوار قصصي، أو المردود بها على استفهام في كلام مفصل[٢].

والحوار في اصطلاح الدارسين والباحثين: (الحوار محادثة بين شخصين أو طرفين، حول موضوع محدد ، لكل منهما وجهة نظر خاصة به ، هدفها الوصول إلى الحقيقة ، أو إلى أكبر قدر ممكن من تطابق وجهات النظر بعيداً عن الخصومة أو التعصب، بطريق يعتمد على العلم والعقل، مع استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة، ولو ظهرت على يد الطرف الآخر) [٣].

واستخدم مصطلح الحوار ولم يستخدم مصطلح النقاش لأن المناقشة تعني في اللغة شدة المحاسبة ، والاستقصاء في جمع الأخطاء ، ومنها ما جاء في الحديث أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال: "من نوقش الحساب هلك"[٤].

واستخدم مصطلح الحوار ولم يستخدم مصطلح الجدال لأن الجدال في اللغة هو شدة الخصومة [٥] .

---

(١) لسان العرب ٣٨٣/٣

(٢) بحث بعنوان: (الحوار في القرآن الكريم آدابه وفضائله) أ . خليل إبراهيم فرج ص١٢١، مقدم لمؤتمر نحو خطاب إسلامي معاصر سنة ٢٠٠٥م .

(٣) الحوار الإسلامي المسيحي ص١٤

(٤) أخرجه البخاري ٣٠/١

(٥) لسان العرب ٢١٢/٢ ، والقاموس المحيط ٣٤٧/٣ .

رابعاً : آداب الحـــوار

إن الإسلام دين الحوار، فلقد أرسى قواعده، وقيَّد ضوابطه، وبيَّن آدابـــه، فـــي نصوص عديدة من كتاب الله تعالى، تضمنت أروع البيـــان، وأصـــول المنـــاظرة، وآداب المحاورة، وفي سنة نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – القولية والعمليـــة، ما يعين المحاور، حيث دعا نبينا – صلى الله عليه وسلم – إلى الله، وحاور وناظر، فكان– صلى الله عليه وسلم – خير أسوةٍ للمتحاورين.

إن أدب الحوار في الإسلام يتطلب تفهم المقابل ودوافعـــه وأهدافـــه، وإفـــساح المجال له لعرض وجهة نظره، كما يجب الإلتزام بأدب الخطاب بعيداً عن الـــتهجم وتجريح الآخرين، وإلقاء التهم دون بينة أو دليل ، كما يجب إعطاء المحاور فرصة عرض رأيه دون مقاطعة أو ضيق وتبرم، وضرورة التحلي بالعـــدل والإنـــصاف والموضوعية، والإنصياع للحق، وقبول الحجة، وعـــدم الممـــاراة فيهـــا، وعـــدم الإستهانة بالآخرين أو الاستخفاف بعقولهم وآرائهم، وضرورة احتـــرام الطـــرف الآخر ، والإبتعاد عن التعصب.

ومن المعلوم أن للحوار آداباً، وقد ذكرت الشريعة الإسلامية الغراء جملة مـــن الآداب التي لابُدَّ من تحققها أثناء الحوار ومنها:

١–الإلمام بموضوع الحوار والانصياع للحق، وقبول الحجة، وعدم المماراة فيها.

٢– إخلاص النية والتزام الموضوعية من أجل الوصول إلى الحق، واتباعه نتيجة الحوار البناء.

٣–عدم التعصب للرأي مهما كان الإنسان عالمًا أو متمكنًا، وضـــرورة الإنـــصات لآراء الآخرين وإن كانوا أقل علمًا، فربما يوجد في النهر ما لا يوجد في البحر.

٤–الحرص على صون اللسان بعيدًا عن الطعـــن فـــي الآخـــرين أو تجـــريحهم، وضرورة التواضع وتجنب الغرور، والتزام الأسلوب المهذب الخالي من كل ما لا يليق.

٥– سلوك طريق الإقناع بالاستناد إلى الدليل الناصع، والبرهان الساطع، والمنطق

السليم، واتخاذ الحجج العقلية سبيلاً لمعرفة الحق واكتشاف الأصوب والتزامه.
٦-احترام شخصية المحاور ورأيه، وضرورة إفساح المجال أمام المناقش أو المعارض لغيره، لكي يعبر عن وجهة نظره، دون مصادرة لقوله، أو إساءة إلى شخصه.
٧- تحديد المفاهيم وضبط الأحكام وضرورة التحلي بالحلم واحترام رأي العقلاء .
٨- البعد عن إصدار الأحكام المسبقة، وضرورة التروي في إصدار الأحكام لحين اتضاح الرؤية والمعرفة، من خلال الحوار السليم المعتمد على الحقائق والبراهين.
٩- التزام الصدق، وتحري الحقيقة، بعيداً عن الكذب والإشاعات
إن الذين يتسلحون بسلاح العلم وكلمة الحق في حوارهم مع غيرهم ، لابُدَّ وأن يظفروا من كل عاقل بالاحترام والتقدير ، أما الذين يتسلحون بالحجة الداحضة، والأراجيف الباطلة في محاوراتهم، فلن يصلوا إلا إلى السخرية منهم ، والإعراض عنهم ، لأن الحق أبلج ، والباطل لجلج....

خامساً : الحوار في القرآن الكريم

إن من أجلِّ العلوم وأعظمها علم التفسير؛ وذلك الشرف ناله ذلك العلم لارتباطه بكتاب الله -عز وجل-، ذلك الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ذلك الكتاب الذي تقرر لدى المسلمين بما لا يدع مجالاً للشك بأنه عمدة الملة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، وأنه لا طريق إلى الله سواه ولا نجاة بغيره ولا تمسك بشيء يخالفه(١).

ذلك الكتاب العظيم يعد أول كتاب حوار في الإسلام ، فقد أسس لفكرة الحوار وتنظيم قواعدها في الفكر الإسلامي، مستخدمًا أهم وسيلة في الحوار ألا وهي اللغة، وقد نزل القرآن الكريم بلغة العرب فجاء مفحمًا للفصحاء، ومعجزًا للبلغاء أن يأتوا

(١) الموافقات في أصول الشريعة لأبي إسحاق الشاطبي ٢٥٧/٣.

بمثله، {**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**}[1]، فالقرآن الكريم نزل باللغة العربية وعلى العرب ، وكان العرب وقتئذ قد وصلوا إلى درجة كبيرة من الفصاحة والبلاغة حيث إنهم كانوا يناطحون الصخور في قوة بلاغتهم ، فكانوا يكتبون معلقاتهم الشعرية بماء الذهب ، ويعلقونها على أستار الكعبة، ومع ذلك تحداهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو ببعض سور منه ولكنهم لم يستطيعوا ولن يستطيعوا ، كيف لا ؟ وهو كلام الله رب العالمين {**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**}[2].

وقد اشتغل العلماء بالقرآن وما فيه من علوم، فبعضهم اشتغل بتفسير ما فيه من آيات الأحكام، والتي تشتمل على أحكام شرعية، وبعضهم اشتغل بما فيه من البلاغة وعلوم النحو والصرف.. إلخ.

وموضوع الحوار في القرآن الكريم من الموضوعات المهمة حيث إنه يدور أساسًا على الإيمان بالله ورسله، وعلى وحدانيته سبحانه وتعالى وأحقيته بالعبادة، والإيمان بالبعث والجزاء.

ولا يفوت المسلم الواعي المتبصر أن يدرك أن القرآن الكريم والسنة النبوية، مثلا أصلا للحوار، كأسلوب مثالي لحصول القناعة الذاتية المؤسسة على الحجة العقلية والبرهان الواضح، وأصلا أيضاً لثقافة الحوار، وهذه الثقافة لها قواعدها وأركانها التي تقوم عليها، وبدونها يفقد الحوار غايته وينحرف عن وجهته.

الحوار في القرآن الكريم:

وردت كلمة الحوار في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع:

١- في سورة الكهف الآية[٣٤]: {**فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً**}.

٢- في سورة الكهف الآية[٣٧]: {**قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً**}.

---

(١) سورة يوسف آية ٢.

(٢) سورة البقرة آية ٢٣

٣- وفي سورة المجادلة الآية[١]: **{قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ}**.

والقرآن الكريم يدعو أتباعه إلى الحوار من خلال دعوة الناس إلى الحق، وما قصص القرآن الكريم عن الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام- وأقوامهم عنا ببعيد، حيث نتعلم منها كيف نحاور الآخرين .

وقد حكى لنا القرآن الكريم صوراً مختلفة للحوار، كحوار الله سبحانه وتعالى مع الملائكة والرسل الكرام ، ونذكر هنا بعض النماذج :

* ومن تلك النماذج ما وجهه – سبحانه وتعالى – إلى ملائكته الكرام من أقوال وما قالوه في الرد على خالقهم – عز وجل – كما في قوله – تعالى -: **{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ*وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ}**[١] ،ونجد هذا الحوار كما في قول الملائكة لله سبحانه وتعالى: **{أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ}**[٢]، وكان هذا رداً منهم على الله حينما قال لملائكته: **{إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً}**[٣].

قال الإمام ابن كثير: " وقول الملائكة هذا ليس على وجه الاعتراض على الله – تعالى – ولا على وجه الحسد لبني آدم كما يتوهمه البعض ، وإنما هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة في ذلك يقولون: يا ربنا ما الحكمة في خلق هؤلاء، مع أن منهم من يفسد في الأرض ويسفك الدماء ، فإن كان المراد عبادتك، فنحن

---

(١) سورة البقرة آيه ٣٠-٣٣

(٢) سورة البقرة آية ٣٠.

(٣) سورة البقرة آية ٣٠.

نسبح بحمدك ونقدس لك أي نصلي لك، ولا يصدر منا شيء من ذلك ، وهلا وقــع الاقتصار علينا؟" [1].

ومن الأمثلة على الحوار في القرآن الكريم، الحوار الذي دار بين إبراهيم – عليه السلام – وبين خالقه سبحانه وتعالى.

وهناك مثال آخر في حواره سبحانه وتعالى مع نوح–عليه الصلاة والسلام– الذي ناجى ربه لينقذ ولده من الغرق، فحاوره الله –سبحانه وتعالى– لأجل أن يبين له الحق والصواب.

وحواره سبحانه وتعالى –أيضاً– مع الرجل الذي أماته مائة عام ثــم بعثــه، وكانت النتيجة وصول ذلك الرجل إلى معرفة الحق والصواب، فقال: أعلــم أن الله على كل شيء قدير.

والمتأمل في المناهج الحوارية القرآنية يعلم أنها خير وسيلة لإظهــار الحــق وإبطال الباطل دون تعصب، ويجد أنها تصل بالمتحاورين دائماً إلى الرجوع إلــى طريق الخير والرشاد والإيمان، وبالتالي تؤدي جميعها إلى توحد المتحاورين على الحق ونبذ الباطل المؤدي إلى الاختلاف والتشرذم.

كما أنها تمثل صوراً رائعة من الحوار في القرآن الكريم، يتبين لنا من خلالها أن القرآن الكريم قد أمدنا بمناهج تربوية عدة، من خلال الحوار بأســلوب ميــسر يُمَكِّن المسلم من تناولها فهماً وتطبيقاً؛ ليتأسى بها ويستخدمها في حواراته المختلفة بدءًا من حوار المسلم مع زوجته وأبنائه، وانتهاءً بحواره مع إخوانه من أبناء الأمة الإسلامية في المجتمع الذي يعيش فيه والمجتمعات الأخرى.

<u>مزايا آداب الحوار في القرآن الكريم :</u>

من خلال استعراضنا للمعاني اللغوية لكلمة الحوار ... يتبين لنــا أن القــرآن الكريم في بيانه لا يدانيه بيان ... وفي إعجازه لا يماثله إعجاز وعن بلاغته تقصر البلاغة وأي بيان ... ومن أبرز ملامح آداب الحوار في القرآن الكريم ما يلي:

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/١٠٥.

١- عرض وجهة النظر بعيدة عن الذاتيه وفي منتهى الموضوعية: {**وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**}(١).

٢- حسن الإصغاء وعدم مقاطعة المتحدث: { **وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً**}(٢)، وقوله تعالى: {**وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**}(٣)، وقوله تعالى: {**وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**}(٤).

٣- احترام الطرف الآخر: {**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً**}(٥).

٤- الاستعداد للموضوع بعد دراسة ودراية وبأدلة مقنعه.... ومنها قوله تعالى {**وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ*قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ**}(٦).

٥- البعد عن ألفاظ الذم والتحقير ومنها قوله تعالى: {**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**}(٧).

٦- تحديد الهدف من الحوار، والوصول إليه من أقصر الطرق حفاظاً على الوقت ومنها قوله تعالى : {**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**}(٨)، وقوله تعالى : {**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ**} (٩).

---

(١) سورة الكهف آية٢٩

(٢) سورة الإسراء آية ٣٧

(٣) سورة البقرة ١٩٥

(٤) سورة المائدة آية٨٧

(٥) سورة آل عمران آية ٦٤

(٦) سورة يّس:٧٨-٧٩

(٧) سورة فصلت آية ٣٣

(٨) سورة النحل:الآية١٢٥

(٩) سورة البقرة : آية ١٤٣

إن أدب الحوار في القرآن الكريم موضوع لا يستطيع كاتب واحد أن يفيه من سمو المعاني... فلو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي الحكيمه، والعبرة فيمن يعتبر ويتخذها نبراساً وصراطاً مستقيماً لحياته ومسلكه.

ومن خلال النماذج الحوارية في القرآن الكريم يمكن استخلاص ما يلي:

١- إن الحوار أصيل واضح في القرآن الكريم، وفي دعوات الأنبياء والمرسلين، مما يحتم على العلماء والمفكرين وقادة الأمة أن يتمسكوا بالحوار كمبدأ أساسي للتفاهم والتعامل والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يتأسوا منهج الأنبياء في ذلك، وعلى رأسهم محمد – صلى الله عليه وسلم–، مصداقاً لقوله عليه الصلاة والسلام "تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتي" (١).

٢- إن الحوار ينبغي أن يكون المبدأ المتبع في التعامل مع الآخرين ومحاورتهم، حتى مع العصاة الذين يتبعون سبل الغي والضلال، فالمعصية لا تمنع من الحوار، وإلا ما فائدة الوعظ والإرشاد والخطابة وهداية الناس، والمحاضرات والمؤتمرات، وما يقوم به العلماء من أنشطة وفعاليات كثيرة هدفها: توجيه الناس إلى طريق الخير والرشاد والتوحد والتمسك بدين الله، فالحوار ممكن مع أي إنسان في العالم مسلمًا كان أم كافرًا.

٣- إن الحوار وسيلة للتربية والتعليم، والدعوة إلى الله باستخدام الأسلوب العلمي المنظم والطرح المنطقي للأفكار وصولاً إلى طريق الخير ولترسو سفينة الحق على بر الأمان.

٤- إن الحوار لا يقوم إلا بالعلم، فالعلم هو الذي يعطي الحوار قيمته، وهو الأساس الذي يُعتمد عليه في الحكم لصالح أحد الفريقين المتحاورين، فالعلم هو العجلة التي تقود الحوار وتحركه وتنتهي به إلى نتيجة مثمرة.

---

(١) أخرجه الشيخان .

سادساً:الحوار في السنة النبوية

لقد ذكرت كتب الحديث والسيرة أمثلة عديدة لحوارات مختلفة منها: قصة خولة بنت ثعلبة التي جاءت تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ.

فقد روي أن خولة بنت ثعلبة امرأة أوس بن الصامت أراد زوجها مواقعتها يوماً فأبت، فغضب وظاهر منها، فأتت رسول الله ﷺ وقالت يا رسول الله: إن أوسًا ظاهر مني بعد أن كبرت سني، ورقَّ عظمي، وإنّ لي منه صبيةً صغارًا ، إن ضممتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إليّ جاعوا فما ترى!! فقال لها: ما أراك إلا قد حرمت عليه، فقالت يا رسول الله: والله ما ذكر طلاقًا وهو أبو ولدي وأحبّ الناس إليّ، فجعل رسول الله يعيد قوله: ما أراك إلا قد حرمتِ عليه، وهي تكرر قولها، فما زالت تراجعه ويراجعها حتى نزل قوله تعالى: **{قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ ...}** الآيات[1].

كما بدأ النبي – عليه الصلاة والسلام– دعوته الإسلامية بالحوار مع مشركي مكة، إيماناً منه أنه الطريق الأمثل للوصول إلى بر الأمان وتبليغ رسالة السماء إلى الإنسانية جمعاء، لتتحد هذه الأمة وتتوحد حول هذا الدين مصدر قوتها وعزتها، كما قال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –: "نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فإن ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله".

ومن أبرز حواراته ﷺ تلك التي كانت بينه وبين قومه المشركين ما يروي ابن هشام عن ابن إسحاق أن عتبة بن ربيعة كان في نادي قريش فقال يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا؟ فقالوا بلى يا أبا الوليد قم إليه فكلمه، فجاء عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من الشرف في العشيرة والمكانة في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمرٍ عظيم فرّقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم،

---

(١) صفوة التفاسير للصابوني ٣٣٤/١.

فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها، فقال رسول الله ﷺ: قل يا أبا الوليد، اسمع.

قال يا ابن أخي: إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان الذي يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فقال له رسول الله : أفرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم... قال: فاسمع منى، ثم قال: بسم الله الرحمن الرحيم **{حم * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ...}**[1]، ومضى رسول الله ﷺ في القراءة وعتبة يسمع حتى وصل إلى قوله تعالى: **{فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُود}**[2]، فأمسك عتبة بفيه وناشده الرحم أن يكف عن القراءة، وذلك خوفاً مما تضمنته الآية من تهديد.

ثم عاد عتبة إلى أصحابه فلما جلس بينهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني سمعت قولاً ما سمعت بمثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، يا معشر قريش أطيعوني وخلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم.

قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال: هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم[3].

ثم إن أشراف قريش عادوا فكرروا المحاولة التي قام بها عتبة بن ربيعة ، فذهبوا إليه مجتمعين، وعرضوا عليه الزعامة والمال، وعرضوا عليه الطب إن

---

(١) سورة فصلت: الآيات (١ – ٤).

(٢) سورة فصلت: الآية (١٣).

(٣) سيرة أبن هشام جـ ١ ص١٩٣-٢٩٤.

كان الذي يأتيه رئياً من الجان فقد ورد في كتاب سيرة ابن هشام أن أشراف قريش اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة، ثم قال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه، فبعثوا إليه: إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك، فأتاهم، فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا ، وهو يظن أن قد بدا لهم فيما كلمهم فيه بداء ، وكان عليهم حريصا يحب رشدهم ، ويعز عليه عنتهم[1]، حتى جلس إليهم، فقالوا له: يا محمد ، إنا قد بعثنا إليك لنكلمك، وإنا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء، وعبت الدين، وشتمت الآلهة، وسفهت الأحلام، وفرقت الجماعة ، فما بقى أمر قبيح إلا قد جئته فيما بيننا وبينك – أو كما قالوا له – فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا ، فنحن نسودك علينا ، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه قد غلب عليك– وكانوا يسمعون التابع من الجن رئيا – فربما كان ذلك ، بذلنا لك أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه ، أو نعذر فيك [2] .

فقال رسول الله ﷺ: ما بي ما تقولون، ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل عليّ كتاباً، وأمرني أن أكون بشيراً ونذيراً، فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه إليّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم[3].

إن الأمثلة من سيرته – صلى الله عليه وسلم – كثيرة لا حصر لها، حيث كان –صلى الله عليه وسلم – يحاور أصحابه وأعداءه، سواء في السلم أو الحرب، وفي الرضا أو الغضب، وكيف أنها وصلت بكثير ممن حاورهم النبي – صلى الله عليه

---

(١) العنت : ما شق على الإنسان فعله .

(٢) سيرة ابن هشام جـ ١ ص٢٩٥.

(٣) سيرة ابن هشام جـ١ ص٢٩٦.

وسلم – إلى اتباع الحق والتزام الدين، وكيف أنها أسهمت في وحدة المسلمين والتفافهم حول إله واحد، ودين واحد، وكتاب واحد، ونبي واحد، أدى بهم إلى أن يصبحوا سادة العالم بوحدتهم واتفاقهم واعتزازهم بدينهم، ولم يصلوا إلى ما وصلوا إليه – الآن– من ضعف وهوان إلا بتفرقهم، وبعدهم عن دين ربهم، كما يقول تعالى: {**وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ** }[1].

وبهذا ندرك أن الحوار هو الأسلوب الأمثل الذي كان يؤثر به الرسول – صلى الله عليه وسلم – في نفوس من يحاورهم، فيستدرجهم بهذا الحوار حتى يصل بهم إلى القناعة والإتباع.

وقد أرسى الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وسلم أسمى أخلاقيات الحوار وأنبلها؛ لأنها أولاً مطلب رباني أوصى الله به رسوله في كثير من الآيات القرآنية العظيمة، ولأنها ثانيا خلق نبوي تحلى به صلى الله عليه وسلم في تبليغ رسالة ربه، فهو كما وصفه ربه تعالى {**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**}[2]، والتزم فيه أوامر ربه في تطبيق الأساليب والسلوكيات التي اتبعها في الحوار مع المخالفين .

سابعاً : الحوار الإسلامي سبيل الوحدة

إن الحوار بالنسبة للمسلمين فريضة واجبة وضرورة شرعية، فرسالة الإسلام ودعوته عالمية لا تختص بجنس أو لون أو عرق، ولا بلد بعينه، فقد بعث الله محمداً – عليه الصلاة والسلام – رسولاً للعالمين،ولم يبعثه لقومه العرب من دون غيرهم،كما في قوله تعالى:{**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** }[3]، وقوله: {**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا** }[4]، والخطاب القرآني يتوجه في الكثير من آياته إلى البشر جميعاً، ليؤكد على الإخاء الإنساني، فالإسلام يفرض التواد

---

(١) سورة الأنفال آية ٤٦

(٢) سورة القلم ، آية ٤.

(٣) سورة الأنبياء آية ١٠٧.

(٤) سورة سبأ آية ٢٨.

والتعارف والعدل مع المختلفين معه في الدين، طالما هم يسالمون المسلمين ويعيشون معهم في جوار طيب يقول الله تعالى: {**لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ* إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**}[1].

كما أن الإسلام دعا أتباعه إلى الحوار بالحسنى، ومجادلة (الآخرين) بالأدب، كما في قوله تعالى: {**ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**}[2]، وقال الله عز وجل :{**وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** }[3]، والملاحظ أن القرآن الكريم لم يرتض لأتباعه المنهج الحسن في الحوار، بل المنهج الأحسن، حيث طالب المسلمين أن يكون هذا منهجهم في حوارهم وحديثهم كله مع (الآخر) ، يقول الله تعالى:{**وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا**}[4].

ومن المعلوم أن الناس لا تنقضى دواعيهم إلى الحديث والحوار في شئون الدين والدنيا ، فحوار بين الزوج والزوجة، وحوار بين الوالد وولده، وحوار بين الصديق وصديقه، وحوار بين الأستاذ وطلابه، وحوار في مجلس الإدارة، وحوار في المجالس النيابية وفي اللجان المختلفة.

وكل ذلك لا يستقيم أمره إلا بإرساء مبادئ وأسسًا في أدب الحوار، نجد أصلها في كتاب الله تعالى بالتزام تقاليد الحوار النابع من الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، وإتباع التوجيه القرآني الكريم بتقوى الله والقول السديد بين جميع الأطراف المتحاورة.

---

(١) سورة الممتحنة الآيتان ٨-٩.

(٢) سورة النحل آية ١٢٥.

(٣) سورة العنكبوت آية ٤٦.

(٤) سورة الإسراء آية ٥٣٦.

فالتعددية – في نظر الإسلام – أمر واقع وملموس، ولكنها بدلاً من أن تكون مجالاً للخلاف والنزاع ينبغي أن تفتح الطريق أمام وحدة الهدف المشترك والجهود المشتركة من أجل السلام.

ويشير القرآن إلى هذا المعنى بوضوح في قوله: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا}**(١).

والتعارف هنا إنما هو حوار بين هذه الشعوب المختلفة، وبهذا فهو اللغة الحضارية بكل ما تحمل هذه الكلمة من معاني، أما استخدام السلاح أو العنف لغة للتخاطب بين البشر، فإنما هو أداة بربرية تعادي الحضارة والتقدم وترد الإنسان إلى عصور ما قبل التاريخ.

إن غاية الحوار المشروع، الوصول إلى مقطع الحق، فلا مناص إذا من التزام أدبه، فإن شرف الوسيلة من شرف الغاية ، وقد بين الرسول الكريم أن لكل من المجتهد المصيب والمجتهد المخطئ حظه من الأجر، فللمصيب أجران وللمخطئ أجر حيث يقول – صلي الله عليه وسلم–: إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر"(٢).

ومن هنا نعلم أن الصواب والخطأ في مجال الحوار الديني ليسا مرادفين للهدى والضلال، وإلا كان المغلوب في الحوار منحازا للباطل، متهما بالكفر والفسوق.

لقد أسس الإسلام منهجاً متكاملاً للتعامل بين الشعوب والحضارات المختلفة، فقد أقر اختلاف الناس والأجناس، وربط المسلمين مع سائر البشر على اختلاف أجناسهم وانتماءاتهم الحضارية برباط من الأخوة الإنسانية النابعة من وحدة الأصل البشري، وإلزام المسلمين بالتعاون والتعايش والتعارف مع غيرهم، وإشاعة الخير مع الجميع وبين الجميع، بغض النظر عن الديانة أو الجنس أو اللون: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا}**(٣).

---

(١) سورة الحجرات آية ١٣.

(٢) أخرجه البخاري .

(٣) سورة الحجرات آية ١٣.

فالإسلام يقر بلغة التعارف والتواد على اختلافها ، ولو شاء ربك لجعل النـــاس جميعاً أمة واحدة وديناً واحد ولكن هذا الاختلاف لا يعد في خانة التضاد ، بل إنـــه منظومة التناغم والتكامل فالكل أمة واحدة ، قال تعالى : {**إِنَّ هَذِه أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**}(١)، ويقول الحق سبحانه وتعالى : {**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّـــهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**}(٢).

فديننا الإسلامي يحث على الوحدة والبعد عن الخلاف والاخـــتلاف ، لكنـــه لا يريدنا نسخة واحدة ، فلله في خلقه شئون {**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِـــدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ* إلا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ**}(٣).

فالتعددية في نظر الإسلام أمر واقع وملموس ، ولكنها بدلاً من أن تكون مجـــالاً للخلاف والنزاع ينبغي أن تفتح الطريق أمام وحدة الهدف المشترك .

لقد اختلف الصحابة – رضوان الله عليهم أجمعين – في بعض الأمور، لكـــنهم كانوا يتراشقون بالزهور، فقد(ذكر أبو الليث السمرقندي عن جرير أن عثمان بـــن عفان كان بينه وبين عبد الرحمن بن عوف – رضي الله عنهما – كلام، فقال لـــه عبد الرحمن بن عوف–رضي الله عنه–: أنا أفضل منك بثلاث، فسأله عثمان: وما هي؟ قال: أما الأولى: إني كنت يوم البيعة حاضراً، وأنت غائب، و أما الثانية: فقد شهدت بدراً، ولم تشهده، و أما الثالثة: فقد كنت ممن ثبت يوم أحد، ولم تثبت أنت، فقال عثمان– رضي الله عنه–: أما البيعة، فإن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعثني في حاجة، ومدّ يده عني وقال: هذه يُد عثمان بن عفان، وكانت يده– صـــلى الله عليه وسلم– خيراً من يدي، وأما يوم بدر، فإن رسول الله – صـــلى الله عليـــه وسلم – استخلفني على المدينة، ولم يُمْكنّي مخالفته، وكانت ابنته رقية – رضي الله عنها– مريضة فاشتغلت بخدمتها حتى ماتت ودفنتها، وأما انهزامي يوم أحد، فـــإن الله عفا عني، وأضاف فعلي إلى الشيطان فقال تعالى: {**إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَـــوْمَ**

---

(١) سورة الأنبياء آية ٩٢.

(٢) سورة البينة آية ٥.

(٣) سورة هود آية ١١٨– ١١٩

الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا اللّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ}[1])[2] .

عندما نقرأ هذا الحوار الجميل بين صحابيين جليلين من العشرة المبشرين بالجنة كما قال الشاعر :

للمصطفى خيْر صحب نُصَّ أنهــمُ في جنة الخلد نصاً زادهم شرفا
هم طلحة وابن عوف والزبير ومع أبي عبيدة والــسعــدان والخلفا

فإننا نجد أن هذا الحوار بين هذين الصحابيين لم يفسد للود قضية ، لأن خلافهم ليس من أجل الدنيا ، بل إنه يستهدف دائماً نصرة الحق ، فلم يكن أدب عثمــان – رضي الله عنه – في تلقيه، أقل من أدب عبد الرحمن – رضــي الله عنــه– فــي دعواه، وكان أدبهما معاً سبيلاً إلى الحق في موضوع النقــاش ، وتبقــى حاجــة المسلمين متجددة إلى مثل هذا الحوار المبارك، والذي تواجه فيه الفكرة الفكــرة ، حيث يسفر هذا الحوار في النهاية عن انتصار الحق ووحدة الأمة الإسلامية.

إن الوحدة الإسلامية أساس كل خير في دنيا المسلمين وآخرتهم ، وإن الفرقــة أخطر الآفات التي تقضى على سعادتهم، وترديهم في مهاوى التهلكة ، وتجرهم إلى وحل المعصية ، وتظل تفرقهم شيعاً حتى تجعلهم ينفصلون تماماً عن الدين ، وفي هذا المعنى يقول الحق تبارك وتعالى : {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ }[3].

ومن المعلوم أن قوة المؤمنين في وحدتهم ، وأن ضعفهم في تفرقهم لقولــه – صلى الله عليه وسلم– :(المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) [4]، ومن أجل أن يكون المؤمنون قوة واحدة ، لا بــد أن يتــآلفوا ويتعــارفوا وأن تــسرى روح التعاطف والتراحم فيما بينهم ، ليصبحوا كالجسد الواحد فيشعر كل مــنهم بــشعور الآخر يفرح لفرحه ويحزن لحزنه ، ويشاركه في الــسراء والــضراء ، ويخــف

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٥٥

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي المجلد الثاني ٢٤٤/٤

(٣) سورة الأنعام الآية ١٥٩.

(٤) أخرجه البخاري .

لنجدته، ويبادر بمساعدته مصداقاً لقول الرسول – صلى الله عليه وسلم – : (مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوا تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)[1].

إن أمتنا العربية والإسلامية أحوج ما تكون إلى الوحدة والمحبة ، والتكاتف والتعاضد، ورص الصفوف، وجمع الشمل، وتوحيد الكلمة خصوصاً في هذه الظروف الصعبة التي تمر بها المنطقة العربية والإسلامية، فالواجب علينا أن نكون أخوة متحابين، وأن نتعاون على البر والتقوى كما قال العلماء : (نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه).

إن وحدة أمتنا واجبة وضرورية لمواجهة التحديات والتكتلات والأخطار التي تحدق بالأمة من كل جانب ، ولو نظرنا إلى ما تملكه أمتنا الإسلامية والعربية من الثروة البشرية والمعدنية والبترول ، والعقول والحضارة والعلم والزراعة، إلى غير ذلك من أسباب القوة والمنعة ، لو نظرنا إلى ما تملكه أمتنا من هذا كله لكنا على يقين بأننا حين نتوحد ونتجمع نصبح أكبر قوة مؤثرة في العالم كله.

وقد بين الله سبحانه وتعالى أن أساس هذه الوحدة التي يدعو إليها الإسلام هو الدين الإسلامي، والاعتصام به وبكتابه الذي هو سبب النجاة ، حيث وضح سبحانه وتعالى أن الأمة الإسلامية واحدة ، وأن الرب واحد فقال جل شأنه : {وَإِنَّ هَـذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ} [2]، فالإسلام هو الضمان الوحيد لوحدة هذه الأمة ، وهو الضمان الذي يبقى عليها ، فلا تفترق ولا تتشتت ولا تتشرذم ، ولا يعادي بعضها بعضاً ، ويقتل بعضها بعضاً ،{إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ}[3]، والله سبحانه وتعالى يبغض إلينا أن نختلف ، لأن الاختلاف أول الوهن ، وباب الفشل والضياع ، والفاشل الضائع لا وزن له في هذه الدنيا ، ولا مكانة له في الآخرة لقوله تعالى:{ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ } [4]، ولقول

---

(١) أخرجه البخاري .

(٢) سورة المؤمنون الآية ٥٢ .

(٣) سورة الأنبياء الآية ٩٢ .

(٤) سورة الأنفال الآية ٤٦ .

الرسول –صلى الله عليه وسلم–:(لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ، وكونوا عباد الله إخواناً)[1]، بل إنه ليحذرنا من أن نسير على نهج المتفرقين ، أو أن نقتدي بهم ، لأنه أعد لهم أسوأ العقاب عنده جزاء تفرقهم :{وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}[2] .

كما ووضح سبحانه وتعالى أن وحدة الأمة تستوجب عليها ألا يتفرقوا في الدين وألا يختلفوا ، فالمتفرقون فريسة لأعدائهم يتغلبون عليهم بسهولة ، وتتداعى عليهم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها ، فيعتدى عليهم في كل وطن ، ويقاتلون في كل مكان ، ويضيعون فرقة بعد أخرى ، وجماعة بعد جماعة ، كما يكونون في فرقتهم فريسة للشيطان ولكل عدوان ، لقوله–صلى الله عليه وسلم– :(الشيطان يهم بالواحد والاثنين فإذا كانوا ثلاثة لم يهم بهم) [3].

إن عدو الله–إبليس– لا يرضى للإنسان أن يحب أخاه المسلم فيعمل جاهداً من أجل إفساد العلاقات الأخوية كما قال عز وجل : " إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً" [4].

إن المؤمنين يعون هذه المهمة السيئة للشيطان فلا يطيعونه، وإذا ما غفلوا للحظة انتبهوا وبسرعة، وعادوا إلى جادة الصواب .

لقد حصل مرة بعد وفاة الرسول –صلى الله عليه وسلم– أن نشأت بين بعض الصحابة –رضوان الله عليهم– مشادة كلامية، سمع منها ارتفاع الصوت، فأخرجت أم المؤمنين أم سلمة –رضي الله عنها– يدها الطاهرة من الحجرة، وأخذت تقول لهم: إن نبيكم يكره التفرّق، ثم تلت عليهم قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ}[5]، وتعني أن الخصام أساس الفرقة، والفرقة أساس البلاء، ولله در القائل:

---

(١) أخرجه البخاري .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٠٥ .

(٣) أخرجه مالك .

(٤) سورة فاطر الآية ٦ .

(٥) سورة الأنعام الآية ١٥٩ .

كونوا جميعاً يا بني إذا اعترى خطب ولا تتفرقــوا أفرادا
تأبى العصي إذا اجتمعن تكسرا وإذا افترقن تكسرت آحادا

إن أعداء الأمة لن يسمحوا لها بأن تبقى صفاً واحداً، لأنهم يعلمون بأنَّ سرَّ قوة الأمة في وحدتها، وأن ضعفها في فرقتها وتخاذلها، فهم يعملون على نشر الحقــد والخلاف بينهم، كما حدث من (شاس بن قيس) اليهودي الــذي غاظــه أن يــرى الأوس والخزرج إخوة متحابين، هؤلاء الذين طالما تحاربوا، وسفكت منهم الدماء، وقامت بينهم المعارك، أن يراهم مجتمعين على عقيدة واحدة، فجلس بينهم بخبــث ودهاء، يذكرهم بأيام الجاهلية، وينشد بعض الأشــعار التــي قالهــا الأوس يــوم انتصارهم، فيرد عليهم الخزرج: بأننا انتصرنا يوم كذا، وقال شاعرنا كذا، وما زال يذكي هذه النار، حتى تأججت، ونادى الرجال من الأوس: يا للسلاح، والرجال من الخزرج: يا للسلاح، يا للأوس، يا للخزرج، وسمع النبي – صلى الله عليه وسلم– بذلك، فأقبل عليهم يقول لهم: "أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟!" وتلا عليهم قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَــرُدُّوكُم بَعْــدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ}[1] – أي بعد وحدتكم متفرقين، سمَّى الله الوحدة إيمانــاً والتفــرق كفراً– {وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللّــهِ وَفِــيكُمْ رَسُــولُهُ}[2]، فنــدموا واصطلحوا وتعانقوا وألقوا السلاح.

لننظر إلى دول أوروبا من حولنا، فعقائدها متباينة، ولغاتها متعددة، وأصــولها مختلفة، ومع ذلك نراهم في حلف عسكري واحد، وسوق اقتصادية واحدة، وعملــة واحدة هي (اليورو)، وبتأشيرة واحدة تدخل جميع الدول الأوروبية، فلمــاذا نــرى المسلمين الذين أكرمهم الله بنبيٍّ واحد، ودين واحد، وكتاب واحد، وقبلــة واحــدة، لماذا لا يجتمعون على قلب رجل واحد ؟!!

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٠ .
(٢) سورة آل عمران الآية ١٠١ .

إن الواجب على أبناء الأمة الإسلامية أن يكونوا إخوة متحابين، وأن يتعاونوا على البر والتقوى، كما قال العلماء: (نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه)، فالحوار هو الوسيلة الوحيدة للحفاظ على وحدة الأمة وقوتها.

إن الحوار قيمة حضارية وإنسانية، من الضروري أن يؤمن بها ويمارسها الفرد والمجتمع على حد سواء، لتحقيق الاستفادة من إيجابيات الحوار المتعددة ، وتزداد أهمية الحوار عندما تواجه الأمة ظروفاً معينة وأحوالاً خاصة تمس وحدتها وكيانها وتماسكها.

والحوار الناجح بين أفراد المجتمع يوفر الوقت والجهد والمال ،ويحقق المهام والأهداف المرجوه منه، كما ويساهم في النجاة من العواقب السيئة التي تترتب على عدم الإلتزام بآداب الحوار على مستوى الأفراد والمجتمعات.

إن الحوار لا يكون ناجحاً ولا يحقق شيئاً من تلك الأهداف التي وصفناها بالمشروعة ، إلا إذا توفرت فيه بعض الشروط ، وإلا إذا خلا من بعض المفسدات.

فشرطه الأول أن يكون المتحاورون صادقين مخلصين في الوصول إلى ما أعلنوا من أهداف، لا أن يكون الحوار مجرد وسيلة إلى أغراض أخرى يضمرها أحد المتحاورين أو كلاهما .

وشرط الحوار الثاني أن يستند إلى معايير يؤمن بها الطرفان وهي بين المسلمين المراجع الدينية من كتاب وسنة وإجماع وقياس وغير ذلك ، قال تعالى : **{فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً}**[1] .

ونلاحظ ذلك أيضاً عندما بعث النبي – صلى الله عليه وسلم – معاذ بن جبل إلى اليمن،فقد افترض– عليه الصلاة والسلام– أن أمورا سوف تعرض لمعاذ غير التي تُعرض له هو – صلى الله عليه وسلم – في المدينة، فقال له: إذا عرض لك قضاء فبم تقضى؟ قال: بكتاب الله ، قال : فإن لم تجد، قال بسنة رسول الله، قال وإن لم تجد، قال: أجتهد رأيي ولا ألو جهداً.

---

(١) سورة النساء: الآية٥٩

إن الحوار المنشود لن يحقق نتائجه إلا إذا تجرد الإنسان من أنانيته، وأيقــن أن الكون الفسيح يمكن أن يسع الجميع إذا خلصت النوايا، وتضافرت الجهود لبناء عالم يختفي منه العنف وتصان فيه الدماء وتتوقف النزاعات والحروب.

من خلال مراجعة الكثير من الآيات القرآنية التي تحدثت عن الحوار، والمواقف الربانية في حواره سبحانه وتعالى مع ملائكته وبعض أنبيائه، وكذلك مــن خــلال الاطلاع على مواقف رسولنا الأكرم محمد –صلى الله عليه وسلم– في تبليغ رسالة ربه، وفي حواراته الكثيرة والمتعددة مع المشركين أثناء قيامه بالدعوة الإســلامية والمواقف الكثيرة له عليه الصلاة والسلام في سيرته العطرة، نجد أنه لا سبيل لنا للخروج من كثير من المشكلات التي تواجهنا إلا بالوحدة، ولا طريق إلى العزة إلا بالوحدة، ولا طريق إلى النصر إلا بالوحدة.

ومن هذا المنطلق فقد ضرب الأشقاء الفلسطينيون أروع الأمثلة فــي التــزامهم بالحوار وكان ذلك منذ أن أطل علينا خادم الرحمين الشريفين، ملك المملكة العربية السعودية، كعادته في اهتمامه بقضايا العرب والمسلمين ، بتوجيه الدعوة لاستضافة جلسات الحوار الفلسطيني في مكة المكرمة، مهبط الــوحي ، وبجــوار بيــت الله الحرام، وهذه الدعوة التي جاءت من مكانة المملكة العربيــة الــسعودية العربيــة والإسلامية والدولية ، حيث تضم بين جنباتها الحرمين الشريفين في مكة المكرمــة والمدينة المنورة ، وهي بلد التضامن الإسلامي، حيث إنها تحتضن منظمة المؤتمر الإسلامي التي أنشئت بعد حريق المسجد الأقصى المبــارك فــي ١٩٦٩/٨/٢١م، وكذلك رابطة العالم الإسلامي والتي لها دور بارز في توحيــد المــسلمين وجمــع شملهم، ونشر الاعتدال والوسطية، وكذلك البنك الإسلامي للتنمية الذي يــسهم فــي تقديم العون والمساعدة لشعبنا الفلسطيني خاصة وللعرب والمسلمين بصفة عامة .

إن مواقف المملكة العربية السعودية الشقيقة في جمع المسلمين معروفــة لــدى الجميع، فقد احتضنت حوار القيادات العراقية ، والذي عقد في رحاب البيت الحرام، وما نتج عنه من توقيع وثيقة عرفت بوثيقة مكة المكرمة، بحضور الأمــين العــام لمنظمة المؤتمر الإسلامي.

لقد لبى الفرقاء الفلسطينيون دعوة خادم الحرمين الشريفين، واجتمعوا للحوار في رحاب البيت العتيق، وتوجت جلسات الحوار هذه بتوقيع اتفاق مكة برعاية كريمة من خادم الحرمين الشريفين.

وتيقن الأخوة الفلسطينيون بأنه لا سبيل للوحدة إلا بالحوار، وكان ذلك بعد الأحداث الدامية التي أدت إلى الانقسام بين شطري الوطن ، فعادوا إلى الحوار في موطنهم الثاني في مصر الكنانة في قاهرة المعز، وعلى الرغم من طول المدة التي قضاها المتحاورون الفلسطينيون إلا أنها آتت أكلها وأثمرت ، وجاء توقيع المصالحة الفلسطينية في مصر تتويجاً لجلسات الحوار بين الفصائل الفلسطينية المختلفة وعلى رأسهم حركتا فتح وحماس ، مما يدل دلالة واضحة على أن الجميع يؤمن بأنه لا سبيل إلى وحدة الصف ولم الشمل ورص الصوف واستعادة الحقوق المسلوبة وتحرير المقدسات وتحرير الأرض والإنسان في فلسطين إلا بالحوار ، كيف لا ؟! ونحن نقرأ قرآننا الخالد،ونتأسى بنبينا–عليه الصلاة والسلام–،فلا بد من الوحدة ، والالتفاف حول ديننا أولاً، فهو المصدر الأقوى للعزة والكرامة والصمود والتحدي، كما يقول تعالى:{وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا} [1].

كما أننا نأمل أن تتجه الشعوب الأخرى إلى الحوار الهادئ بدلاً من الجدال والقتال والتعصب الذي يؤدي إلى إضعافها وهوانها وتدخل الآخرين في شؤونها، حيث إنه لا سبيل إلى حل نزاعاتهم، ونبذ خلافاتهم، وتوحيد كلمتهم ، ورص صفوفهم في وجه أعدائهم إلا بالحوار البناء الذي يجتمع فيه الفرقاء ، ليجتمعوا على كلمة سواء تقودهم إلى الاتفاق والوحدة ، كما يقول الشاعر :

رص الصفوف عقيدة أوصى الإله بها نبيه
ويد الإله مع الجماعة والتفرق جاهلية

إن الوحدة فريضة شرعية وضرورة وطينة، لذلك نجد أن النصوص الشرعية من الكتاب والسنة تأمر العرب والمسلمين بوجوب جمع الشمل، ورص الصفوف ،

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٣ .

ووحدة الكلمة ، فاتحاد الكلمة أمر جاء به الإسلام ورغب فيه ، وحث عليه ، والأمة الإسلامية أمة عظيمة خصها الله سبحانه وتعالي بميزتين هما:الخيرية(كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ}[1] .

والوسطية:{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}[2].

كما خص الله الأمة العربية بخصائص عديدة حيث جعل المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال إلا إليها في أرضها ،كما أن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم ، ولغة أهل الجنة ،لذلك يجب على العرب والمسلمين بصفة عامة والفلسطينيين بصفة خاصة أن يجمعوا شملهم ويوحدوا كلمتهم، ومما يدل على أهمية الوحدة في حياة الأمة ما ذكره الشيخ / محمد الغزالي في كتابه خلق المسلم أن المصلين اختلفوا في صلاة التراويح هل هي ثماني ركعات أم عشرون ركعة ، فقال بعضهم بأنها ثماني ركعات ، وقال آخرون بأنها عشرون ركعة ،وتعصب كل فريق لرأيه ، وكادت أن تحدث فتنه، ثم اتفق الجميع على ان يستفتوا عالما في هذه القضية فسألوه عن رأيه في الأمر ، فنظر الشيخ بذكائه فعرف ما في نفوسهم ، وهو أن كل طرف يريد كلمة منه ، فقال الشيخ مستعينا بفقهه : الرأي أن يغلق المسجد بعد صلاة العشاء (الفريضة) فلا تصلى فيه تراويح البته قالوا : ولماذا أيها الشيخ ؟!، قال : لأن صلاة التراويح نافلة (سنة) ووحدة المسلمين فريضة ، فلا بارك الله في سنة هدمت فريضة ، نعم ديننا ، كتاب ربنا ، سنة نبينا ، تحثنا على الوحدة خصوصا في هذه الأوقات العصيبة من حياة شعبنا المرابط،وهذا ما نجده في قول الله تعالى: {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ }[3].

---

(١) سورة آل عمران الآية ١١٠ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٤٣ .

(٣) سورة آل عمران ١٠٣ .

تنمية ثقافة الحوار :

الحوار قيمة حضارية وإنسانية من الضروري أن يؤمن بها ويمارسها الفرد والمجتمع على حد سواء لتحقيق الاستفادة من إيجابيات الحوار المتعددة ، وتزداد أهمية الحوار عندما تواجه الأمة ظروفاً معينة وأحوالاً خاصة تمس وحدتها وكيانها وتماسكها.

والحوار الناجح بين أفراد المجتمع يوفر الوقت والجهد والمال ،ويحقق المهام والأهداف المرجوه منه، كما ويساهم في النجاة من العواقب السيئة التي تترتب على عدم الإلتزام بآداب الحوار على مستوى الأفراد والمجتمعات.

ومن أجل تنمية ثقافة الحوار لابد:

-عقد ورش عمل شبابية في جميع الدول بمشاركة المؤسسات التعليمية والثقافية لنشر ثقافة الحوار وتفعيلها.

-إشاعة ثقافة الحوار في المجتمع، بحيث يكون هو الأسلوب المعتمد في التخاطب بين جميع شرائح المجتمع بعضهم مع بعض.

- عقد الندوات واللقاءات وإقامة المؤتمرات التي تدعم وتنشر ثقافة الحوار.

- إصدار النشرات والدوريات الصحفية التي يتم من خلالها نشر وتشجيع ثقافة الحوار.

الخاتمـــة

وفي الختام: نقف مع نتائج البحث وثمراته في هذا المحور وذلك في النقاط الآتية:

أولاً:الحوار أسلوب قرآني نبوي ناجح ومثمر يأسر القلوب ويحركها نحو الفضيلة.

ثانياً:للحوار آداب وأخلاق لابد من التعرف عليها والتحلي بها؛ لأنها مستنبطة من واقع السنة النبوية ومدعمة ببعض الآيات القرآنية

ثالثاً: الحوار الموضوعي يمنع من بروز ظاهرة التطـــــرف السياسي أو الديني.

رابعاً:إن الحوار ليس حلبة ملاكمة يطرح المحاور زميله أرضاً وذلك بالسخرية منه أو التطاول على شخصه.

خامساً: إن الحوار يعني التخلي عن سياسة "أن الآخر مخطئ وأنا المحق الوحيد".

سادساً: فتح أبواب الحوار بضوابطه ومنهجه العلمي يحقق أهدافاً وغايات بناءة.

سابعاً: الحوار حاجة علمية وضرورة فكرية بهدف اللحاق بركب العالم المتقدم.

ثامناً: غياب الحوار أو رفضه يعني زيادة في التخبـــــط والتخلف والعـــــــزلة.

تاسعاً: الحوار هو الأسلوب الأمثل للمحافظة على وحدة الأمة وقوتها.[١]

وصلي الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

(١) بحث بعنوان: (آداب الحوار وآفاقه في السنة المطهرة) د. عبد السلام اللوح ص١٤١، مقدم لمؤتمر نحو خطاب إسلامي معاصر سنة ٢٠٠٥م .